المصطلحات الجديدة ومناقشتها

٤ — السعي لدى الحكومات لإيجاد مكتب عربي للمشاورات القانونية مهمته تقريب التشريع ما أمكن والعمل على توحيده إن أمكن

٥ — العمل على توحيد مناهج الدراسة القانونية في البلاد العربية وإيجاد رابطة متينة بين كليات الحقوق العربية

٦ — توصية الحكومات بالاعتناء بلغة التشريع والعمل على استبعاد الكلمات البالية أو الدخيلة ، ولنا فيما عملته سورية في إقرار لفظة « التنفيذ » بدلاً عن « الإجراء » ، وفيما قامت به مصر من إبدال كلمة « العدل » بكلمة الحقانية[1] أسوة حسنة وأمل كبير في الوصول إلى أهدافنا القومية وآمالنا المنشودة كاملة غير منقوصة والله الموفق .

« دمشق »

محمد ثابت الخطيب

(١) سنة ١٩٣٩

بمناسبة مقالة زكي المحاسني

كتاب الانصاف والتحري

في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري

لابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

ذكر صاحب « فوات الوفيات » في ترجمة ابن العديم : أنه ألف كتاباً في الدفاع عن أبي العلاء المعري سماه « كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري » .

وذكر هذا الكتاب أيضا صلاح الدين بن أيبك الصفدي في كتاب « نكت الهميان في نكت العميان » أثناء ترجمة أبي العلاء المعري ، ونقل عنه جملة صالحة ، تلخص رأي ابن العديم في المعري ، وكذلك فعل السيوطي في « بغية الوعاة » . وذكر اسم الكتاب ، ونقل عنه خلاصة رأي ابن العديم في المعري ، وعده في صف المدافعين عنه .

* * *

ابن العديم مؤلف هذا الكتاب هو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضي أبي الحسن أحمد بن العديم ، مؤرخ حلب ، ومحدثها ، وفقيهها ، وأديبها . ألف تاريخ حلب — بغية الطلب — في نحو أربعين مجلداً[1] . وهو الذي يقول فيه ياقوت الحموي :

« ... إن الله عز وجل عني بخلقته ، فأحسن خلقه وخلقه ، وعقله وذهنه وذكاءه ، وجعل همته في العلوم ومعالي الأمور ، فقرأ الأدب وأتقنه ، ثم درس الفقه فأحسنه ، ونظم القريض فجوده ، وأنشأ النثر فزينه ، وقرأ حديث الرسول فعرف علله ورجاله ، وتأويله وفروعه وأصوله ، وهو مع ذلك قلق البنان بما تحوي اليدان ، وهو كاسمه كمال في كل فضيلة ، لم يعتن بشيء إلا وكان فيه بارزاً ، ولا تعاطى أمراً إلا جاء فيه مبرزاً ، مشهور ذلك عنه ، لا يخالف فيه صديق ، ولا يستطيع دفاعه عدو »[2] . ولد في حلب سنة ٥٨٨ ونشأ بها ، ثم رحل إلى بغداد ومصر أكثر من مرة واحدة ، ولما جاء التتار إلى حلب سنة ٦٥٨ جفل إلى مصر مع من جفل ، ثم رجع إلى حلب بعد خروج التتار منها ، فوجدها على حال سيئة من الخراب والدمار ، فرجع

(١) ذكر ذلك ابن الأثير في حوادث سنة ٦٦٠ وكذلك الشيخ شهاب الدين محمود في تاريخه

(٢) انظر ترجمة ابن العديم مفصلة في معجم الأدباء « ج ١٦ ص ٥ — ٥٧ » .

وفي أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ محمد راغب الطباخ « ج ٤ ص ٤٦٤ — ٤٩٩ »

إلى القاهرة ، وأقام بها إلى أن توفى بها سنة ٦٦٠ من الهجرة ودفن بسفح المقطم .

* * *

يعد كتاب ابن العديم فى إنصاف شيخ المعرة من الكتب النادرة الوجود ، بل ربما كان من تلك التي ذهبت بها الأيام ، فلا عين لها ولا أثر ، غير ما حفظته كتب التاريخ والتراجم من أسماء ومقتطفات

لم يعثر إلى الآن — فيما أعلم — على نسخة كاملة من هذا الكتاب القيم النفيس ، وكل الذى عثر عليه منه — من نحو عشرين سنة — نسخة ناقصة من آخرها ، ومن قبل آخر الوجود منها ، ولا يعلم مقدار النقص فى كلا الموضعين . فقد ذكر الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي فى تاريخه « أعلام النبلاء » بتاريخ حلب الشهباء (ج ٤ ص ٧٧) : إنه عثر على كتاب « الإنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى » . عثر عليه مخطوطاً فى خزانة كتب سعادة مرعى باشا الملاح ، وأنه نسخ من هذا المخطوط نسختين ، أهديت إحداها للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، واحتفظ بالأخرى لنفسه ، وبعد أن نص الأستاذ الطباخ على موضع النقص فى هذه النسخة التى عثر عليها قال : إنه يدمج الموجود من هذا الكتاب ضمن كتاب أعلام النبلاء . لعل ذلك يدعو بعض ذوى الهمم للبحث والتنقيب عن نسخة تامة منه

وقد نشر الأستاذ الطباخ الموجود من كتاب إنصاف المعرى لابن العديم فى الجزء الرابع من أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ص ٧٨ — ١٥٤) من نحو عشرين سنة

وإنى أنشر اليوم — بمناسبة حفلات ذكرى العيد الألفى لمولد المعرى التى تقام الآن فى دمشق — على صفحات الرسالة الغراء مقدمة كتاب الإنصاف على أن ألخص فصوله وأبوابه الموجودة فى فرصة أخرى . أنشر هذه المقدمة راجياً — كما رجا الأستاذ الطباخ من قبل — أن يكون فى هذا النشر الحافز لهمم محبي البحث للتنقيب عن نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس . حتى إذا أمكن الحصول عليه ونشر ، كان فى ذلك أبلغ تكريم لذكرى المعرى بمناسبة عيد مولده الألفى .

* * *

وإلى القارئ الآن مقدمة كتاب الإنصاف نقلاً عن النسخة التى نشرها الأستاذ الطباخ :

« ... وبعد فإنى وقفت على جملة مصنفات عالم معرة النعمان أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنوناً من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب ، لا يجد الطامح فيها سقطة ، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة ، ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند أهل الإنصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه إذ لم ينالوا سعيه ، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالإلحاد والتعطيل ، والعدول عن سواء السبيل ، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصد له ، فجعلوا محاسنه عيوباً ، وحسناته ذنوباً ، وعقله حمقاً ، وزهده فسقاً ، ورشقوه بأليم السهام ، وأخرجوه عن الدين والإسلام ، وحرفوا كله عن مواضعه ، وأوقعوه فى غير مواقعه ، ولو نظر الطاعن كلامه بعين الرضا ، وأغمد سيف الحسد من عليه انتضا ، لأوسع له صدراً وشرح ، واستحسن ما ذم ومدح ، لكن جرى الزمن على عاداته فى مطالبته أهل الفضل بتراته ، وقصدهم بإساءاته ، فسلط عليهم أبناءه ، وجعلهم أعداءه ، فقصدوه بالطعن والإساءة . واللبيب مقصود ، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود ، وكل ذى نعمة محسود ، ومن سلك فى الفصاحة مسلكه ، وأدرك من أنواع العلوم ما أدركه ، وقصد فى كتبه الغريب وأودعها كل معنى غريب ، كان